وجه الكتاب

تأليف: عبد الهادي رويس

"العالِم الجهول"

الجهل مصيبة المصائب ومعيبة المعائب، وهو الشيء الوحيد الذي يؤدي إلى المهالك، لذلك تجد الله سبحانه وتعالى يرفع من شأن العلم والعلماء على طول خط القرآن وعرضه، فجعل من رأس الأمر كله وهو توحيده أن يكون مبدوءا بالعلم فقال: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ" [محمد:19] كما أنه لم يرفع أحدا رفعة حقيقية إلا بالإيمان والعلم حيث قال: "يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"[المجادلة: 11] ولأن العلم له لوازم وأدوات أقسم الله

بالقلم والدواة، حيث قال: "نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ" [القلم: 1] وجعل من وحيه الخاتم كتابا يتلى إلى يوم القيامة، وأشار إليه من بعيد بعد المكانة لا بعد المكان فقال: " الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ"[البقرة:1]، لذلك لا شرفا حقيقيا للإنسان إلا بالتعلم ومواصلة القراءة والكتابة إلى آخر العمر، فإذا بدأت التعلم قراءة وكتابة في الروضة فلا تتركه -أي التعلم- حتى تذهب للروضة، ومن العجيب أن تعرف كيف تقرأ ولا تقرأ فتصبح أنت والأمّي سيان.

هناك أناس تعلموا وقرؤوا لكنهم جهلاء، بل جهلهم أشد من جهل الجاهل البسيط، هؤلاء هم الذين وضعوا الذهب والفضة على البول والبعرة، تعلموا ليقال عالم فقد قيل.. وماذا بعد ذلك؟ تعلموا ليظهروا فقد ظهروا.. وماذا بعد ذلك؟ تعلموا ليجمعوا الدولار واليورو وقد جمعوا.. وماذا بعد ذلك؟... العلم

يا إخواني ثمين وعزيز، لذلك لا يرضى الله أن يطلب العلم إلا لوجهه، ومن طلبه لوجهه جازاه الله جزاء تحسده عليه الأكوان لأن وزنه سيكون ثقيلا في الميزان. العالِم الجهول هو ذاك الإنسان الذي إذا تكلم قلت ما شاء الله قلب عامر.. وهو في الحقيقة إنسان عابر.. سينصفه التاريخ وسيرميه في مزبلته لأنه لا يستحق الذكر، فما كان لله رسخ وما كان لغيره ذهب وانفسخ.

***

"المجهول"

هيا لننظر معا أيها الصديق العزيز، انظر الى تلك السماء الصافية المزدانة بنجوم لا حصر لها، نحن في ليل والسماء سوداء مليئة بمصابيح عددها أكثر من عدد حبات رمل الأرض بأكملها، أنا وأنت نحاول اكتشاف المجهول، نعم

المجهول ! لقد رفعنا أبصارنا في جو هادئ يتخلله نسيم ناعم لعلنا نعرف المجهول ولو ذرة من ذلك المجهول، لكن ما عسانا أن نعرف من مجرد نظرنا نحو السماء، لذلك كان لزاما علينا أن نذهب إلى المكتبة لنقتني بعضا من الكتب حول السماء والفضاء وفعلا هذا ما فعلنا فعلمنا أشياء كثيرة لم تخطر لنا على بال، وأهم شيء تعلمناه أن المجهول سيبقى، لأن المجهول لا نهاية له؛ فإذا عرفت شيئا غابت عنك أشياء. لكن هل المجهول فوق رؤوسنا فقط !؟ لا بالطبع؛ هناك مجهول داخلنا وهو بسعة المجهول الخارجي، " وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر " المجهول كلمة عظيمة تعبر عن مزيج من الرهبة والرغبة.. الفضول.. الإقبال والإدبار.. الخوف والرجاء. إن هذا المجهول هو الذي يبحث عنه كل يقظ، ويحب من كل قلبه أن لا يتوقف هذا البحث، لأن المتعة

هي في البحث عن المجهول بإدراك معارف بسيطة في الطريق ترقى بك شيئا فشيئا دون نهاية. المجهول يحرك الفضول والفضول يزيد من المجهول؛ لأنك كلما عرفت شيئا زادت معرفتك بجهلك، وبالتالي أكثر شيء يتنعم به الإنسان في هذه الدنيا هو شهوة الفضول لإزاحة بعض القشور عن المجهول.

***

"هل الله صامت؟!"

لطالما خالجني ودار في ذهني بعض الأفكار، من ضمنها هذا السؤال: هل الله صامت؟ وذلك أني أرى الكثير من الظلمة الجبارين والكفرة الضالين يعتون في البلاد ومالهم من حساب. انظروا إلى ما يقع في فلسطين من قتل وتدمير، انظروا إلى الأطفال تقَتل والنساء ترمل، والله صامت لا يبالي بدموع الأطفال وشكاوى المسلمين من نساء ورجال، لكن

أعود كرة فأجد أن هذا السؤال لا معنى له، لأن الله ليس صامتا أبدا، لأنه في أقل الأحوال الشهداء سيتنعمون أبدا أما أولئك الطغاة فالنار موعدهم والعذاب منزلهم، أما في الدنيا فلا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، فرئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير لا تكف عن التدخين فلا تستطيع أن تبقي فمها خاليا من السيجارة واسألوا المدمنين عن هذا العذاب المبين. قد تجدونني ساذجا إذ أتكلم عن السجائر وما هم فيه تجاوز السجائر بسنين ضوئية؛ لكن اعذروني لا أستطيع أن أتخيل أكثر من هذا! ومع ذلك سأتخيل. ربما نتنياهو هو الآخر مدمن سجائر لا أدري لكن ما أدريه الآن وبيقين؛ أنه لا يفرق بين الإنسان والدجاج، ألسنا كلنا جوييم، إذن فاللعنة على الجوييم وبالتالي اللعنة على كل من في الأرض إلا شرذمة من اليهود الذين يخططون ويدبرون ولا يطرف لهم

جفن حتى يرضوا إلههم إبليس اللعنة عليه وعليهم. إذن كيف نُخرج الله عن صمته حتى يبدو صوته عاليا لكل الناس؟ إن هذا لا يتأتى أبدا حتى يقوم المسلمون من رقدتهم، ولا قيام إلا بالتمسك بدين الإسلام والرجوع إلى الله الديان، قال الله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ.." قد لا تكون لنا معدات نستطيع بها مجابهة العدو لكن يكفي أن نقوم، ليس قياما بأرجل خاوية، ولكن قيام المتقين الصابرين المرابطين الذين لا يبالون أن يهلكوا في سبيل الله، إن استطعنا أن نحقق ذلك فلن يقف في وجهنا شيء أبدا.

***

"لعبة الكريات المرعبة"

هيا لنلعب لعبة.. لعبناها في الصغر لكن الآن سنلعبها بطريقة مختلفة.. إنها لعبة الكريات الزجاجية الصغيرة. نحن خمسة

أفراد وسنلعب لعبة الثقب، أنت الآن تحاول الاستحواذ على كرياتنا بعد أن دخلتَ الثقب وقمت بالمحاولة الأولى المشلولة. كلنا إلا أنت.. لما نستطع دخول الثقب ونحن على مشارف الهلاك لأنك صياد ماهر ويمكنك أن تلقف كراتنا مما سيؤدي إلى رمينا جميعا في حفرة مشتعلة نارا ! كما يقرر أبوك واضع اللعبة المجنونة. أبوك هو عبد الملك اختار أن يعيش متجبرا، فلم يجد سبيلا أمتع من ألعاب الأطفال ليحولها إلى ألعاب دموية مثيرة ولأنه يثق فيك لأنك لم تخيب ظنه في الألعاب السابقة التي ذهب ضحيتها العشرات، قرر أن يجعلك الآن تنهي حياتنا نحن الأربعة، لقد كدت تلقف كرتي وأنا أنظر إليك.. قطرات باردة من العرق نزلت على جبيني لكن الله سلّم، مرت محاولات أصدقائي لدخول الثقب لكن كلها باءت بالفشل حتى جاء دوري واستطعت بفضل الله الدخول إلى

الثقب وقمت برميتي الأولى المشلولة ثم حان دورك، رميت بزجاجتك المكورة واستطعت أن تضرب كرة محمود مما جعل الحرس يأخذونه أمام الحفرة العميقة وهو يتصبب عرقا حيث ملأ الرعب جميع جوانحه، ثم تلقفتَ باقي الكرات مما جعل عبد الملك الجالس في كرسيه الوثير ينظر بطرب والحرس حوله؛ لأن حفل الشواء سيقام بعد قليل بشباب من خيرة أولاد المدينة؛ لكن الآن حان دوري لا أخفيكم أني كنت أشعر بيدي ترتعش لكني توكلت على الله وقذفت بالكرية وتمكنت من كرتك يا أيها الابن اللعوب. هنا بدأ التشويق يزداد؛ لأن قواعد الأب المتسلط هي أن يرمي الخاسرين حتى لو كان ابنه معهم لأنه في الأول والأخير ابن علاقة عابرة التي منها الكثير. أنت والآخرين سترمون في النار المشتعلة؛ وأنا لأنني فزت سأنجو لكن هذا لا يرضيني لذلك استعملت خيارا

في اللعبة أخير و هو أن أرمى مكانكم.. وها أنا أرمى في النار راضيا لأنها الشهادة! وما أحلى الشهادة! فتحت عيني ووجدت الله شاكري لما فعلتُ، فالتقيت بجم غفير من الشهداء اللذين فعلوا مثل فعلي في أماكن مختلفة من العالم وبدأنا نلعب ونلهو لعبا حلاوته ليست في قاموس لغة الدنيا، حياة ما أحلاها حياة السعادة الأبدية.

***

"عبد غضنفر"

- تواضع يا سيدي قليلا، ألم تعلم أنك خلقت من ماء مهين!؟

- إن لم تخرس علي ذلك اللسان سترى من يكون الملك، وستعلم أن الأسياد أسياد وأن طينتهم غير طينة الناس.

تفكر العبد "جمال" قليلا وعلم أنه إن لم ينصرف حالا سيرمى للسباع الموجودة في غابة السيد وسيكون فريسة لذيذة أشهى لأسد غضنفر أعتى.

أِلف الملك منذ توليه الحكم أن يجمع عبيده وجنوده فيزحفون كتلا نحو الغابة ليرموا العبيد المتمردين للسباع، لا رحمة عنده.. وكان "جمال" على وشك أن يرمى مع زمرة هذا الشهر. نعم يا إخواني كل شهر لابد من زمرة من العالة 'الفائضين عن اللزوم' كما يقول نيتشه، هؤلاء الفائضين مساكين تمردوا لأنهم أنهكوا من الأعمال الشاقة التي لا ترحم، وكلما ذهب فوج مات.. جيء بآخر حي.. فإن تمرد كان له نفس المصير؛ لكن حاشية الملك جاءته في صباح باكر تخبره أنه إن استمر على هذه الحال سيباد العبيد ولن يبق أحد للخدمة. أجابهم بتسرع كعادته وغضب جبان: لا يهمني ! ستأتوني بالعبيد من أي

مكان في العالم، السيد سيبقى سيدا؛ والسيد لابد له من عبيد. لم يعيدوا عليه مقالتهم وإلحاحهم، وانصرفوا لا يدرون ما يفعلون.. وهم راجعون إلى مكان إقامتهم وجدوا "جمال" يشاهد السماء وكأنه يناجي الله أن تنتهي هذه المأساة.

قالوا له: يا عبد، إنك فينا مرجوا، وقد رأيناك تسمر تشاهد النجوم وتقرأ الكتب على حين غرة وغفلة من الملك، وتعلم أن الملوك لا يحبون القارئين؛ أفتنا كيف نتخلص من ورطة نقص العبيد فدورنا سيحل لنلقى للسباع، فنحن عرفنا من زمن يسير بمخالفة الملك حتى لو كان الخلاف خفيفا. أطرق مليا ثم أجابهم: لا حل معه سوى الثورة إجمعوا كل العبيد وهيجوا الناس وتوجهوا كتلة صلدة صلبة.. واقطعوا رأس الجبان أو ارموه للسباع ليرتاح العباد والبلاد. وهذا ما كان حيث أخدوه في حشد مهيب يشبه حشد رسول الله لفتح

مكة.. نيران ومهابة وجماعات من العبيد والجنود كل مصمم على إنهاء هذا النمرود الجديد، تجمعوا حلقة كبيرة رموه للسباع تنهش لحمه وعضمه وهو ينادي! ولسان حال الناس يقول: إنك لن ترتاح بالموت.. أمامك جهنم وبيس المصير.

***

"المرحومان"

يمكنك أن تتفرس في رجليه العروق وكأنها وديان تعبر وتمخر! شاهدة ببدعة الصانع جل وعلا، إنه (عبد اللطيف): شاب في العشرين من عمره يهوى ممارسة رياضة كمال الأجسام بل هو مهووس بها؛ حتى أصبح كتلة من العضل تبرز من فوقها انتفاخات العروق ذات الشكل الجذاب، تُعجب به الفتيات بشكل ملحوظ، حتى أنه دعي أكثر من مرة لأن يخلط بين التستوستيرون الخاص به وبين الاستروجين الخاص بهن،

لكنه رفض وانقبض، وقال لـ"هيت لك": "معاذ الله". رغم أنه أوتي بسطة في الجسم فقد أوتي بسطة في العلم أيضا، يحب القراءة بجنون ويحب مصادقة العلماء والمثقفين، لكن شيئا واحدا غير حياته . هو وفاة والديه أثناء حادث طرقي عندما كانا عائدين من حفل تكريم أخته (سلمى)؛ فأصيب بصدمة قوية لم تخف إلا بعد مرور وقت ووقت طويل، أصبحت عضلاته الجسمية والذهنية مترهلة وعاش حينا من الألم الدفين.

مرت ستة أشهر الآن على الوفاة ولا يعرف كيف يعيد إلى نفسه نشاطها وإلى جسمه شبابه؛ لكنه بفضل الله رزق بأخت صبورة وقورة، تعاملت مع الحادث بروح ملؤها الرضا والتسليم وأعانته قدر المستطاع حتى ينسى كائنين هما أعز ما عنده.

شعر (عبد اللطيف) أن مدة حداده فاقت الوقت المطلوب خصوصا وهو ينظر إلى أخته التي تعاملت مع الحادث باستجابة ملائكية ندر من يتصف بها، فقرر العودة.. العودة إلى كمال الأجسام وكمال الإنسان، لقد جزم بالرجوع إلى قمة الإنجاز بعد أن انحدر منها كثيرا، فواصل بياض النهار بفحمة الليل في التدريبات والقراءة، فعاد كما كان، بل أفضل، لقد صار عبد اللطيف ممشوق القوام صاحب العقل السليم في الجسم السليم.

*****

أخته (سلمى) فتاة هي كذلك قوية. لقد كان الوالدان عائدين من حفل تكريمها لحصولها على المرتبة الأولى على مستوى الدولة، لقد كانت تلك الفتاة المجدة في سنة الشقاء: سنة الباكلوريا، وعندما سمعت بخبر وفاة والديها؛ شعرت

بتلك الفرحة التي كانت تغمرها قد تحولت إلى سيل من الأحزان لا تدري كيف تفر منه، لكن بما أنها كانت تقوم من الليل، قررت أن تبقى في تلك الليلة صاحية باكية متضرعة إلى الله؛ أن يلهمها رشدها وأن يحول حزنها رضا، فبقيت تدعو وتدعو وتبكي... فجاءتها إغفاءة مفاجأة رأت فيها النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، فأصبحت منشرحة الصدر شاكرة لله ولأنعمه.

*****

مرت الأيام واعتاد الأخوان الحياة دون والدين، وأصبحت ذكراهما غير مؤلمة شيئا فشيئا. لكن الشيء المفرح وعلى غير العادة هو رؤية كل من الأخوين والديهما في

أحسن حال في رؤية المنام، فاطمأن قلبهما وشقّا طريقهما في الحياة صالحي البال ومرتاحينه فالحمد لله.

***

"السعادة"

لا توجد كلمة أثارت النفس البشرية كما فعلت كلمة السعادة، ولا توجد غاية أجمع العالمون على السعي إليها كما هي السعادة. لكن كيف يمكننا الحصول على هذا المَنشد العظيم!؟ و كيف نعلم هل نحن سعداء أم أننا فقط نعيش حالة من النشوة نظنها سعادة وهي في الحقيقة عين السراب. كثير من الناس يظن أن السعادة هي في حشو المزيد من الوسادات بمزيد من المال أو في ملء مزيد من الأفواه بمزيد من الطعام أو في الجنس أو في الخمر.... لكن هل فعلا هؤلاء سعداء أم أنهم فقط يعيشون حالة من الإشباع اللحظي ليس هو بسعادة ولو طال

زمانه. إذن ما هي السعادة؟ وكيف نحصل عليها؟ أظن أن السعادة لا تكمن في الماديات، الماديات فقط تسكت غول الأساسيات الذي لابد أن يُلبّى، وإلا فالفقر عين الكفر. لا أظن أن أحدا ليس له ما يأكل..ما يلبس..ما يسكن... سيأتي ليعبد حتى لو كان أقدس القديسين، كذلك هذه الماديات إن أفرغت على شخص بالقنطار والقنطارين لن يحصل على السعادة حتى يوجهها في سبيل عمار الداخل والخارج بالله و الإستعداد لليوم الآخر.

عُرف في التاريخ أناس ملكوا الشرق و الغرب وما كانوا سعداء أبدا مثل النمروذ و نبوخذنصر، ومنهم من حصل على نصيب وافر من المال مثل قارون وكانت نهايته الخسف، هذا يعطيك دليلا على أن الماديات ليست سببا في السعادة حتى

يضاف إليها الإيمان وشكر المنعم كما فعل سليمان عليه السلام وذو القرنين.

وأخيرا فمعادلة السعادة هي من أبسط المعادلات وسهلة الحل؛ يعني لا تحتاج كبير ذكاء، فالمجهول معروف ودرسناه عند الأنبياء، لكن أتى أناس بعد هؤلاء الأنبياء و بعد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم..فأضافوا أرقاما ورموزا ووضعوها في كلا الحدين، ووضعوا كتبا ودروسا خارجة عن ما تركه النبي الكريم ليعلمونا أنها من أصعب الصعوبات و إلا فحل معادلة السعادة تكمن في آية واضحة لا لبس فيها: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) [النحل].

***

"الخاتم الذهبي"

لبس كريم خاتمه الذهبي وبدأ يحركه حول أصبعه متجاهلا حرمة الذهب للرجال؛ متخيلا نفسه سليمان الملك النبي وأنه بهذا الخاتم سيملك العالم علويه وسفليه وسيصبح ملكا لا يقهر، لكن فجأة سمع طرقا على الباب عنيفا لأمه تحاول إيقاظه من النوم أو هو الموت في الحقيقة، وما الخاتم والذهب سوى مكبوتات وجدت منفسا لها في أحلامه، والوقت بعد العصر وهو لا يزال في فراشه ينفخ؛ لا حاضر ولا مستقبل سوى أحلاما وأماني لا تنتهي؛ مر عليها زمان وزمان وهي ملحة على البقاء تقول نعم سأتحقق في يوم من الأيام. كريم هذا: شاب عمره عشرين عاما يقضي الليل مع الهاتف في التفاهات، بعد التفاهات ينتقل إلى الحاسوب ليلعب ألعابا إلكترونية لساعات وعندما يُؤذن لصلاة الصبح يرمي نفسه على السرير ليرتاح من

ليل طويل. استيقظ على صوت والدته سعاد أو بالأحرى خبطها على الباب:

ـ ماذا تريدين يا والدتي، لما أشبع من النوم بعد؟

ـ إستيقظ أيها الكسول الخامل، متى ستبقى على هذه الحال، أما زال قيدك مستعصيا عن الفك؟

ـ إن شاء الله قريبا يأتي الفرج، رغم ما ترين مني فإني طيب أحب الخير للناس.

هدّأت هذه العبارة السيدة الوالدة ونزل من عينيها دمع ودعت له من كل قلبها:

ـ اللهم اغفر له واهده يا رب العالمين.

سمع كريم هذا الدعاء من وراء الباب رغم أنه كان شبيها بالهمس، وقرر من اليوم فصاعدا أن يترك الأماني ويبدأ في السعي إلى الأعالي.

* * *

نظر إلى الخزانة المقابلة أمامه، كان فيها بعض الكتب الدينية تركها والده عليه رحمة الله، ولم يفكر يوما في فتحها، لكنه فتحها الآن وبدأ يقرأ، انغمس فيها بشكل لا يصدق، قرأ.. وقرأ.. وقرأ.. وعلم في الحال أن دعوة والدته قد أجيبت، حيث بعدها لم يعد يقضي الليل في الترهات والألعاب، وإنما في القراءة الممتعة المستلذة التي تثير في الخيال ما لا تثيره ألف لعبة وألف مقطع.

عادت الأم في اليوم الموالي من عملها ثم ذهبت إلى غرفته -كريم- قاطعة بأنها ستجده نائما كباقي الأيام، لكن كانت المفاجأة، وجدته منكبا على الكتب يقرأ فيها بعشق عجيب، سرّت بمنظره ذاك سرورا لا يوصف وذرفت دمعا: "الحمد لله.. اللهم وفقه وأعنه واجعله يواصل الطريق". تغير كريم

تغيرا جذريا أصبح مهووسا بالكتب ولم تعد تفوته صلاة، هو وحيد والدته، لقد توفي أبوه وأختاه في حادث؛ ترك ذلك جرحا في قلبه وقلب والدته لم يندمل إلا بمرور وقت طويل، فقد كان والده عبد الله إنسانا طيبا يعمل في النجارة وكانت أخته أكبر منه تدرس الطب والصغرى في الثانوية، وكانوا يعيشون حياة سعيدة لا كدر فيها، لكن بعد الحادث أصيب كريم بصدمة جعلت منه إنسانا كسولا مدمنا على المقاطع وألعاب الفيديو؛ وتَرَك الدراسة وبقي في المنزل عالة مملوء رأسه بالأحلام والأماني؛ وأمه تعمل خارج البيت من الصبح إلى العصر وعندما تأتي تذهب مباشرة إلى غرفته لتوقظه من سباته آملة في أن يعود إليه نشاطه.

* * *

مرت السنون وكريم في استقامته والتزامه، حتى دوى خبر في العالم: "اليوم هو يوم إعدام كريم" لماذا؟ لأنه كان مناضلا شرسا مدافعا عن حقوق الفلسطينيين لمدة عشر سنين بكتاباته ومناظراته وظهوره في الإعلام. توفيت الأم قبل ثلاث سنوات وها هو الآن لحبل المشنقة، فبما أن الإغراء لم يسكته فلا سبيل إلا لقتله وماذا سنقول للناس؟ نقول إنه إرهابي.. لماذا؟ لأنه يتكلم في الدين ويدافع عن الفلسطينيين.

***

"التعاقد والتراحم بين الماضي والحاضر والمستقبل"

التعاقد والتراحم مصطلحان صكهما الدكتور عبد الوهاب المسيري، قرأتهما في سيرته غير الذاتية غير الموضوعية: "رحلتي الفكرية". والمقصود من التراحم هو العلاقات الإنسانية حيث يكون التفاعل بين الناس تراحميا، تُقضى الحاجات دون لجاجة

وفجاجة التعاقد الذي لا يرحم، ومعنى التعاقد هو قضاء الحاجات باليورو والدولار ولا مكان للوئام والوصال، وقد ذكر - أي الكاتب- قصة حدثت في أمريكا عن بنت سيدة كبيرة تركت لها صغيرها حتى تعود من عمل ما وبعد أن عادت وأخذت طفلها أخرجت دفتر الشيكات ملأته بدولارات وأعطته لأمها جزاء إحسانها ولا حول ولاقوة إلا بالله، لو كان مثل هذا الفعل في بلادنا التي ما زالت تتنسم شيئا من الإسلام والتي ما زالت تتنفس بعضا من الرحمة والوئام؛ لعُدّ هذا عيبا خلقيا لا يغفر، لكن هذا هو العالم الجديد يُلقى فيه الإنسان للذئاب؛ إما أن يصبح ذئبا أو يصبح أكلة شهية للذئاب، ألا تعلمون أن الشاب عند السادس عشرة سنة يُحمّل مسؤولية توفير رزقه والسكن خارج بيت أهله. كان الناس في الماضي قبل اختراع هذه الوسائل التكنولوجية المتنوعة التي

أصبحت تملكنا ولا نملكها، يتراحمون فيما بينهم، ليس هناك فرق بين بيتي وبيت جيراني الكل مندمج مع الآخر يتزاورون ويتحابون وهناك صداقات وجيران تستمر معرفتهم إلى آخر العمر، كما نلاحظ مع أجدادنا وجداتنا، لكن بعد التلفاز والهاتف ثم الهاتف الذكي والحاسوب ثم الآن نظارات آبل والعلم لله ماذا سيكون فيما بعد، تفرقت الجموع وكثر الجمع المخدوع، وبدأ شبابنا وشاباتنا لا همّ لهم إلا الفم والفرج، وهو ما سيؤدي بمجتمعاتنا إلى مزيد من التعاقد، فكثرة المنتجات وكثرة الاشهارات لاستهلاك مزيد من السلع لتلبية ذينك العنصرين سيزداد. لكن الحل دائما موجود وظاهر ومعروف، إنما نتجاهله لقصور في إدراكنا ولقهر ما يقترحه المجتمع علينا فننسلخ تدريجيا من إنسانيتنا ونتبع "صائغ" القرارات الذي يملي على رؤوسنا ليل نهار ويغسل أدمغتنا بالسر والجهار عن طريق

تلك الوسائل: وسائل التكنولوجيا والاعلام. الحل هو استخدام هذه الوسائل بعقلانية، نتحكم فيها ونقهرها لتخدمنا لا لنخدمها، فيمكنك فعل كل ما هو جميل بتلك الوسائل وتجتنب كل ما هو قبيح وبالتالي ترتقي لأنك تنتقي، لأنك لست كالذباب ولكن كالنحل يحط على الورد الجميل ويمص رحيقا يصنع منه عسلا غذاء وشفاء. التراحم كان في الماضي والآن يبهت قليلا قليلا أو كثيرا كثيرا حتى نصبح أناسا لا يعرفون إلا التعاقد والمستقبل لا يبشر بخير لأنه لن يبقى لا تراحم ولا تعاقد وإنما ستبقى أرض تئن والناس ينتظرون القيامة لتقوم فيجازى ذلك "الصائغ" الظلوم.

***

"الإسلام والعالم المعاصر"

"عقيدة وشريعة":

الإسلام جاء من عند الله ليغير العالم من الفساد إلى الكون، كان العالم كله في سبات الظلمات إلا فئة قليلة مستحيية كانت على الهدى و هؤلاء هم بقايا من أهل الكتاب، كما في الحديث الصحيح: "...وإِنَّ اللهَ نظر إلى أَهْلِ الْأَرْضِ، فمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وعَجَمَهُمْ، إِلَّا بقَايَا من أَهْلِ الْكِتَابِ..." كانت الأرض ظلماء إلا شموع هنا أو هناك يوقدها المفردون الموحدون الحنفاء. ثم جاء النور. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث عن مولده: "رأَتْ أُمِّي كأَنَّهُ خرجَ منها نورٌ ، أضاءَتْ منه قصورُ الشامِ" أضاءت الدنيا بمولد خير البرية صلى الله عليه وسلم ثم أضاءت مرة أخرى عندما بعث، عندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء يتحنث حين أتاه جبريل... فأصبح من يوم ذاك نبيا مرسلا إلى قومه وإلى العالمين. لقد انطلقت الشرارة عندما لامس جبريل الأمين محمد الأمين.

عندما تلامس أمين أهل السماء بأمين أهل الأرض عم النور بكلمات الباري جل جلاله، فمن أحب ذلك النور أخذه؛ ومن وجهه كالح في الظلمات فرحا مزهوا لن يدخل النور قلبه حتى يلج الجمل في سم الخياط أو يقضي الله أمرا كان مفعولا. من ذلك اليوم هدى الله أناسا إلى الإسلام فعمت الرسالة العالم بفضل الله جل وعلا.

الإسلام هو الدين الأخير على الأرض هو الصلة الأخيرة بين السماء والأرض وكل صلة مدعاة جاءت بعده هي كذب ومحض افتراء مثل القاديانية أو البهائية أو غيرها. وعندما نقول الإسلام سنواجه مسألتين لا ثالث لهما هما: العقيدة والشريعة: العقيدة التي استمرت في الجزء الأول من الدعوة في مكة؛ حيث كانت الآيات هناك تركز على الإخلاء والتعمير.. إخلاء القلب من الشرك ومن كل ما يدعو إليه من شهوات وشبهات

وتعميره بالإيمان والتوحيد و بتطهير القلب من رواسب الجاهلية، فعندما تم ذلك.. وحصل ما حصل من اضطهاد الوثنيين للمسلمين وأصبح المسلمون يفتنون أذن في الهجرة، التي كانت في البداية إلى الحبشة ثم بعد ذلك إلى يثرب التي أصبحت تسمى بالمدينة. وكانت الآيات المدنية تتمحور اهتماماتها حول الشريعة التي ستنظم حياة المسلمين بعدما أصبحوا أكثر نشاطا وأكثر تجمهرا. وبعد مدة عاشها المسلمون في الدعوة والحروب خير الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخلود في الدنيا أو الرفيق الأعلى فاختار الرفيق الأعلى.وتمت الرسالة لكن لم تنته الدعوة ولم ينته الاجتهاد وعندما نقول الاجتهاد ننتقل فورا إلى العالم المعاصر الذي كثر فيه المجتهدون وعم فيه التنويريون!

"الإسلام والعالم المعاصر"

إن للإسلام قصة عجيبة في العالم المعاصر، كل أصبح يدعي وصلا بليلى، كل أصبح يريد أن يحلل ويحرم ويفتي ويكتب، وكأن الإسلام لا قدسية له ولا أهل له،يقولون أن الإسلام ليس علما وليس تخصصا، نعم صحيح إذا كان ما تعنيه العلاقة الخاصة بين العبد وربه والقيام بالفرائض واجتناب النواهي نعم هذا مفروغ منه فالحلال بين والحرام بين، لكن ماذا عن تدبر كلام الله ألا يحتاج هذا لياقات ذهنية تختلف من فرد إلى آخر لاستخراج ما فيه من الكنوز التي لا تنتهي، أليس النبي صلى الله عليه وسلم كان جبريل يدارسه القران كل سنة، ماذا عن هذه المسودات و الكتب التي دونت على مر التاريخ الإسلامي في مختلف الميادين من عقيدة إلى تفسير إلى فرق وردود إلى فقه إلى تاريخ... إلخ، كل هذا والإسلام

ليس بعلم، و ماذا يعني التفقه في الدين إذا كان الإسلام ليس علما، ولماذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث الصحابة ليعلموا المسلمين دينهم، ألم يقل الله تعالى:"وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)"[التوبة]. هذا لشيء عجيب. لكن الحمد لله حتى في هذا العصر وحتى مع وجود هؤلاء الأدعياء: أدعياء العلم، وفي كل زمان سيكون الحق واضحا لمن أطاع الله، ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.والرسالة مستمرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وفي يوم القيامة كلنا سنسأل لماذا تركنا القرآن واتبعنا فلانا وعلانا.

***

"المرض النفسي"

الإنسان يمرض جسديا ونفسيا، وأغلبية الناس يذهبون عاجلا إلى العلاج إذا أصاب جسدهم وعكة، في حين أن المرض النفسي لا يلجأ المصاب به إلى العلاج ـ أو حتى إلى التصريح به ـ لأن ذلك قد يسمه بالجنون ويجعل منه أحمقا أمام الناس، وهذا أكبر خطأ يقع فيه المريض؛ حيث سيطيل من معاناته حتى لا يبقى مكان فارغ لمزيد من الكتمان فتظهر أعراض المرض العصابي أو الذهاني، ولا بأس أن نبين هنا الفرق بين العصاب و الذهان حتى يتضح الأمر أمامك أيها القارئ؛ فالعصاب هو المرض والإضطراب النفسي الذي يجعل من المريض يعاني لكن دون فقدان الاتصال بالواقع في حين أن الذهان هو المرض مع فقدان الاتصال بالواقع. أهم علامة للاعتلال النفسي بدون منازع هي: أن تشعر بحالتك المزاجية والنفسية غير مستقرة ولمدة طويلة وتحاول قدر

جهدك مقاومتها وكتمانها، وأسطر على كلمة فترة طويلة، لأن الإنسان الطبيعي يمكن أن يشعر بحزن أو يأس أو إحباط لكنه لا يدوم إلا وقتا يسيرا، في حين أن المريض يبقى معه المرض مدة أكثر من اللازم حتى أنه يؤثر على علاقاته الاجتماعية مع أسرته وأصدقائه، فيصبح منطويا منكمشا على نفسه لا يدري ما حل به المسكين.. ولا يدري المحيطون به ما حل به كذلك، أو يصبح عدوانيا متجبرا. والمرض النفسي كالسرطان تقريبا؛ كلما تُنبه إليه مبكرا سهل علاجه وإلا ضرب بجذوره فيصعب اجتثاته والقضاء عليه، لذلك المرضى النفسيون يجب أن يزوروا الطبيب بين الحين والآخر ولسنوات، فمنهم من يتعايش مع المرض بتناول دواء موصوف فيبقى معه ربما حياته كلها؛ ومنهم من يتعالج و عند وقت معين يترك الدواء لأنه حصل على دربة في التعامل مع الانتكاسات، وهناك من

يتعافى دون أخذ الأدوية، وذلك عن طريق العلاج مع مختص بالكلام والمجادلة وهذا أفضلها لكنه لا يتأتى لأي شخص لأنه باهظ الثمن.

العصابيون والذهانيون أذكياء:

يعتبر العصابيون والذهانيون أذكياء وعباقرة بدون نقاش، وذلك لأنهم يعيشون حالة من التفرد عن العالم، لذلك يجب على المربين أن ينتبهوا إلى الطفل الذي تبدو عليه علامات النباهة، فيلزم معه انتهاج مسلك في التربية غير المسلك الذي ينتهج مع الأطفال العاديين، لكي يمر ذلك الطفل بمراحل عمره بسلاسة وبدون مشاكل، وإلا فهو مرشح من العيار الأثقل للإصابة بالعصاب أو الذهان، لذلك تجد العباقرة عبر التاريخ وفي كل مراحله يعانون شيئا ما، فإن لم يكن مرضا نفسيا أو عقليا فإنه

سيكون بدون شك حزنا أو هما. وهاك لائحة لأشهر العلماء والجهابذة الذين لا يمكن أن يعتبروا أسوياء والذين يلعبون بين العقل والجنون: (فرنسيس بيكون، رينيه ديكارت، فولتير، جان جاك روسو، جورج واشنطن، روبرت أوين، بايرون، شيللي، بلزاك، شوبنهاور، دوستويفسكي، تولستوي، أديسون، فان جوخ، شارلس داروين ونيتشه...)

وأظن أن هذا الجنون الذي يجعل من أحدهم عبقريا هو السبب الأرجح حتى يقدموا للبشرية روائع يعجز الإنسان عن وصفها. هل لو كان هؤلاء العباقرة بدون مشاكل وهموم وأحزان واختلالات نفسية واجتماعية؛ هل سيتركون وراءهم روائع مثل الحرب والسلم وآنا كارينينا و الجريمة والعقاب والإخوة كارامازوف ولوحات فان جوخ وهكذا تكلم زاردشت...؟ لا أظن ذلك، فإذا كانت الحاجة أم

الاختراع فإن الألم منبع الإبداع والألمعية. "وهنا النكتة" فإذا أصيب شخص بمرض نفسي أو عقلي وكان مرشحا للعبقرية فإنه يمنع المزيد من الآلام بمزيد من الخلق والإبداع وبمحاولات العلاج المختلفة، لذلك وعلى مر التاريخ، العظماء الذين غيروا مجراه، يتسمون بنفس ملؤها الحزن والهم والتفكر وعدم الرضى عن المحيط والواقع، لذلك يحاولون ملء جهدهم تغيير هذا الواقع والسير به في طريق آخر أو على الأقل الانحراف به قدر المستطاع.

الإيمان والمرض النفسي:

يعتبر الإيمان من أهم العوامل للشفاء من المرض النفسي بل أهمها، وذلك أن الله سبحانه وتعالى لن يترك عبده وهو يدعوه ويصلي إليه ويرجوه أن يبقى في معاناة وهو أرحم الراحمين،

لذلك يهديه إلى أعمال البر والتوبة النصوح فيخف ما به ويحل عليه السلام، ولا سلام إلا بالاستسلام وبدين الإسلام، وهذا لا يعني أن المرض النفسي سببه ضعف الإيمان كما يحلو للعامة؛ بل هو نتيجة مجموعة من العوامل المركبة من تفاعل الوراثة مع البيئة والتربية، لذلك يلزم التداوي بالعلوم التي سهر عليها الجهابذة على مر السنين. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» فالشفاء موجود ومكانه مجهول وإنما يعرفه المختصون، قال الله تعالى:﴿... فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء ٧]، لذلك يلزمنا الرجوع إلى أهل الإختصاص حتى نعثر على ما نصْبوا إليه من الشفاء؛ وهذا عينه الأخذ بالأسباب الذي دعا إليه الله ورسوله، وإنما يبقى الإيمان هنا العامل الأوحد في تسريع عملية العلاج وجعل الأسباب تعمل

بسلاسة ودون عوائق، فإذا ذهب المؤمن إلى الطبيب وفعل ما يقوله له فهو قد أدى السبب فيرجع حالا إلى الله ليفعّل ذلك السبب و إلا فإننا نجد شخصين لهما نفس المرض وعولجا عند نفس الطبيب بنفس الدواء والنتائج مختلفة بسبب أن الأسباب لا تفعل من ذاتياتها ولكن بتفعيل الله لها، قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء ٦٩]، انتهى.

***

"الصوفية"

تعددت واختلفت مسالك الناس حول هذا المفهوم، فمنهم من قال أن الصوفية مشتقة من الصوف؛ لأنه كان لباس الدراويش؛ الذين يتقربون إلى الله بالخشونة التي تلامس أجسادهم، ومنهم من قال أنها من الصُفة وهو المكان الذي

كان فيه فقراء الصحابة في المسجد، ومنهم من قال أنها من صوفيا وهي الحكمة كما نجدها في كلمة فيلسوف أي محب للحكمة. المهم تعددت وتنوعت الاشتقاقات والمفهوم واحد وهو: الاشتغال بتزكية النفس عبر مجاهدتها وترويضها. فعندما نلبس الصوف الخشن على الجسد؛ والنفس لا تحب ذلك فنحن نجاهدها، وعندما نكون فقراء ونلبث في المسجد عابدين فنحن نجاهد النفس كذلك، وبالتالي من هذا كله نحصل على الحكمة التي هي صوفيا.

التصوف كمذهب انداح وتشعّب، حتى أنه أصبح له أصدقاء مخلصون يذودون عنه زيف المبطلين وانتحال الجاهلين، وأصبح له أعداء كذلك، فالقاصدون لعداوته ينتحلون اسم التصوف ليروجوا لبدعهم وليجعلوا من الناس البسطاء يطوفون حول القبور ويقدسوا فلانا المقبور. إذا اعتبرنا التصوف هو تزكية

النفس ومجاهدتها وإتعابها حتى تصل للعلا؛ فهذا في كل دين، حتى البوذية التي ليس لها إله تهتم بجانب ترقية النفس ومجاهدتها ولذلك سُمي بوذا ببوذا، لأن معنى الكلمة هو الذي استنار بعد أن جلس تحت شجرة من الأشجار؛فوصل للنيرفانا التي هي التخلص من آلام الرغبات الملحاحة.

***

يجب أن نهتم بتزكية النفس لأن ذلك هو السبيل للخلاص يوم القيامة، فعندما نزكي أنفسنا تصلح قلوبنا، والقلب هو الملِك وهو الذي عليه مدار الأمر في النجاة. قال الله تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)} [الشعراء: 88، 89]. لذلك وأخيرا ماذا يمنعنا من أن نتصوف؟! إذا كان معناه مجرد التزكية والتقرب إلى الله! أما التصوف البدعي فنحن منه براء، حتى إننا رأينا وسمعنا وقرأنا

من يقول أن ملَك الخطايا لم يعد يكتب وأن التكاليف سقطت عنه؛ وإن كان الأمر كذلك لكان النبي صلى الله عليه و سلم وصحابته هم الأولى بذلك، ولكنه ابليس يُصَيِّر الشيء الذي كان نفيسا إلى شيء خسيس.

***

"الالحاد ينخر!"

عندما تقرأ في كتب الالحاد و في كتب الردود عليه، عندما تقرأ كلاما في الكتب العلمية المهتمة بالعلاقة بين الدين و العلم؛ تجد شيئا عجبا، تجد أن كثيرا من العلماء يقبلون أي شيء إلا أن تقول لهم أن هذا يستلزم خالقا بارئا اسمه الله، لا يحبون هذه الكلمة بثاثا و كأن الله بعبع يريد بهم الضرر، سمِّه الطبيعة .. سمّه الفراغ الكمومي .. سمّه الاكوان المتعددة اللامتناهية ... سمّه أي شيء إلا الله، المهم أن تبعدنا عن هذا

الإله المزعوم لأنه لا وجود له؛ إنما هي فقط المادة و الطاقة و القوانين تشتغل دون الحاجة لمشغِّل، و عند تأملك في هذا كله تجدهم يفعلون ذلك لأسباب عديدة أظنها في الغالب ترجع إلى أسباب نفسية، و للدكتور عمرو شريف كتابا اسمه "الإلحاد مشكلة نفسية" يبين أن هؤلاء العلماء الذين يزعمون الحيادية و اتباع الدليل، إنما عاشوا تجارب مؤلمة في حياتهم أدت بهم إلى الإلحاد كفقد الأب أو كون الأب ضعيفا أو مسيئا أو ما شاكل ذلك. هؤلاء الملاحدة يكرهون الله لأنهم إذا آمنوا به سيقيد حركتهم و سيمنعهم من رغائبهم؛ أليس فرويد الملحد صاحب التحليل النفسي و الرائد في علم النفس؛ يرجع كل شيء إلى الميول الجنسية و يدعو إلى اشباع هذه الغريزة دون تقنين، و هو الذي صك مفهوم الكبت الذي يؤدي إلى الأمراض النفسية و الحل عنده: الغوص في بحر الشهوات.

كل هذا الكره لله، إنما باعثه أن الله لو كان موجودا و هو الخالق لهذا الكون الهائل سيكون من غير الممكن مجابهته، لذلك أفضل شيء نقوم به هو إنكاره حتى نرتاح، خصوصا و أن من سياسة الله في تدبيره أن يمد و يمهل للانسان حتى إذا أخذه لم يفلته، لذلك ترى صوت الباطل عاليا فقط لأن الله ترك له مجالا في هذه الدنيا و هيئ له عقابا في الآخرة، قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾ [الأنعام: 44].

***

"و فتحت فمها لتدخن!"

صباحا

و هو مار في الطريق تحت أشعة الشمس المنعشة؛ يمتع ناظريه في ملكوت السماوات و الأرض، إذا به يلتفت فجأة إلى فتاة مع صديقها يدخنان، ما أثار استغرابه هو أن هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها هذا المشهد جهارا نهارا . . خصوصا في مثل بلدته الصغيرة التي تعرف بالستر، لكن ما لا يعرفه "يحيى" -بطلنا- أن التدخين شيء هين و مشهور حتى عند الإناث في بلدته المتواضعة . . لكن في ستر و على استحياء، و لم يكن يحيى ليدري ذلك فهو شخص معروف بالنزاهة و لا يعرف مثل هذه الأمور . كان اسم الفتاة المدخنة سلوى و اسم صديقها باسم. عاشت سلوى طفولة عادية خالية من الثقافة الدينية إلا القليل، لذلك لم تعرف كيف تتعامل مع نفسها و بالاحرى مع ربها، فتحت عينيها على رفيقات المدرسة اللاتي لا يعرفن سوى اللعب؛ ثم بعد أن دخلت الثانوية تطور اللعب

فأصبح لعبا بالحياة لعبا بالدين، في الثانوية مارست أول قبلة ثم تطور الأمر، بعد أن عرفت باسم دخنت أول سيجارة لها ثم تطور الأمر، الآن تعيش سلوى حالة من البلادة و تجمد الحس، جربت كل الملذات و ضاعت في طوفان افرازات غدة المتع المحرمة.

أصيبت بطوفان من افرازات غدة الضمير 'الصاحي لتوّه'، افرازات جعلتها في قلق كبير و اكتئاب خطير، نادت على صديقها باسم ليجد لها عقارا أو أي شيء يسكن ضميرها، طلب منها أن تلتقيه في شارع علال الفاسي في الصباح ليناقشا الأمر، هنالك مر يحيي فوجدهما يدخنان؛ لم يكن يعلم عن محتوى حديثهما ! لكن صورة الفتاة طبعت في ذهنه طباعة و كأن الله أراد بذلك أن تكون سلوى في خير مع يحيي؛ و ذلك عندما وجدها خالية في مكان بعيد من البحر تخترق

الأمواج محاولة الانتحار، لكن رحمة الله جعلته ينقذها، علم قصتها و بما أنه من أهل الله علم داءها و علم دواءها.

القرآن دواء كل الأدواء هو هدى و شفاء، و النبي يشكو: "إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا" . . بعد مدة من العلاج و الاخفاق تمكنت سلوى من ايجاد الفرج في يحيى فحييت كريمة عفيفة شريفة بعد أن غسلها -يحيى- من آثامها و كأنه عمدها بالماء المقدس.

الآن تعيش هي و إياه في بيت الزوجية، زوجان سعيدان غفر الله لهما و رحمهما، و ذلك الشخص المدعو باسم انتحر لأن من فقد الهداية ضل الطريق و من عاش حياته بالطول و العرض سيأتي زمان ينهي فيه حياته، لأن الله يمهل و لا يهمل، و اسألوا مشاهير المنتحرين من فسقة و فاجرين.

***

"مصطفى محمود"

(صاحب العلم و الايمان)

تعرفت على الدكتور مصطفى محمود من سنين طويلة، منذ أن كنت يافعا أبحث عن معنى، و ذلك عندما أصدرت الجزيرة الوثائقية فيلما وثائقيا عنه، و من هنالك أصبحت أعشقه و أعشق نبرة صوته و أعشق المواضيع التي يذيعها في برنامجه الشهير العلم و الايمان، قرأت الكثير من كتبه، و هو الكاتب الوحيد إلى الآن الذي قرأت الكثير من أعماله و التي أحرص على قراءتها كلها لما أرى فيها من صدق البوح و جمال النصح، لم يكن شيخا ذا لحية يعظ الناس بل كان مفكرا تجول في حقول العقول و اقتطف أفضل ما وجده .. فبثه في كتبه و أذاعه في برنامجه " العلم و الايمان " .

برنامج العلم و الايمان: البرنامج الشهير الذي كان الدكتور يحضِر فيه أجود الوثائقيات يعرضها على الناس بكلمة قبلها تطول أو تقصر حسب نوع المقام و كلمة بعدها تطول أو تقصر هي كذلك و بينهما وثائقي مصمت إلا من تعليقه رحمه الله؛ و الركن الأساس في كلماته هو أنه يريد أن يقول لك: أن كل شيء يهتف بوحدانيته لا إله إلا هو.

و مع ذلك كانت له بعض المشاحنات مع رجال الدين، فهذه بنت الشاطئ ترد عليه و تقول له: أنت لست أهلا لكي تفسر القرآن، و هو يقول أنا فقط أحاول فهم القرآن، و الكتاب عنوانه "محاولة لفهم عصري للقران" ، كتب كذلك عن الشفاعة و أنكروا عليه ذلك ظنا منهم أنه ينكرها؛ و هو لا يقول إلا أن الشفاعة شأن إلهي و ليست كأنواع الواسطة التي نعرفها في الدنيا، و أنكروا عليه الكثير، كما أن برنامجه العلم و

الايمان الجميل كان قبل أن تنشر الحلقة منه يعمل فيها مقص الرقيب، رقيب ليس كأي رقيب: رقيب اسمه الأزهر. ما هذا يا هذا العلم و الايمان و مصطفى محمود، و تتركون الكثير من الحثالة بدون رقيب.

المهم أن مصطفى محمود شخصية رائعة لها مكانتها، طبخه يؤكل و يهضم و يستفيد منه العقل دون مخلفات إن شاء الله، و هذا ما لاحظته منذ تعرفي عليه أن عمله يستهلك رغم كيد الكائدين و مكر الماكرين، و برامجه لا زالت تذاع و كتبه لا زالت تطبع و عليه إقبال كبير و الحمد لله، فهو من سلالة الرسول صلى الله عليه و سلم من آل البيت فطينته طيبة و هو طيب إن شاء الله.

***

"توسيع الآفاق"

نحن الآن مع مقال حول القراءة مرة أخرى، القراءة من أسباب توسيع الآفاق إن لم تكن هي السبب الرئيس، بالقراءة يمكنك أن تعود بالزمن إلى مئات السنين قبل الميلاد و تقرأ أفكار كبار العقول مثل أرسطو و سقراط و أفلاطون، يمكنك بالقراءة أن تبحر في عالم المفكرين العظام تغترف من فيض قريحتهم يبثونها لك في كلمات فتقرأها و تستوعبها و تزيد من فرصتك للنجاة في هذه الحياة؛ و تزيدك حيوات إلى حياتك، القُراء هم الذين يصنعون التاريخ و على قدر قراءتك على قدر تأثيرك و رفعتك مؤمنا كنت أو كافرا، لكن المؤمن يرتفع بالايمان مع القراءة . . نور على نور، قال الله تعالى:{ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11) } [المجادلة: 11]، لكن قد يأتي المبتدئ بكل حب و حماس فيفتح الكتاب فيقع في النوم و النعاس، و هذا

طبيعي فكل بداية تكون بسيطة، فالله سبحانه و تعالى جعل ذلك سنة في خلقه و فعلها هو بنفسه جل و علا، فلم يخلق كائنا مركبا معقدا من أول الأمر و إنما ابتدأ خلق الحياة بخلية واحدة -الأميبا- ثم بدأ التطوير إلى أن استوى الحيوان و الانسان، و الله خلق السموات و الأرضين في ستة أيام و هو القادر على خلقها في لا زمان، و هذه الأيام لا يعلم مقدارها إلا الله؛ قد تصل إلى ما لا يكون في الحسبان من أيام الانسان، و يرددون في المنابر قول الله تعالى : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)} [العلق: 1 - 5]، فلا تجد لها تأثيرا لأن قائلها ما قرأ بعض الكتب إلا ليأخذ بعض الملاليم عندما يصبح إماما، أصبحت الدراسة و القراءة سبيلا للشغل و الحصول على

بعض النقود للعيش، أصبح الطفل من الصغر لا يدرس من أجل المعرفة و إنما لكي يشتغل في المستقبل؛ و فعلا يدرس و يدرس معه آخرون بنفس الهدف فيزدحمون على الأشغال و كيف يجد الكل شغلا هذا محال! أما المتعلم و القارئ الذي يقرأ و يدرس لتنوير نفسه لا طمعا في المال فسيصبح قائدا ما في ذلك شك؛ والمال سيأتي مع الوقت و مع عدد الساعات التي تقضيها مع الكتاب، الناس أصبحوا كسالى ألهتهم المصنوعات التقنية التي يقضي فيها الانسان معظم وقته بدون استفادة ولكن بتضرر، صاحب شركة "ميتا" (مارك) ألهى الناس بمواقعه و تجده يحمل الكتاب و يقرأ فيه، و كما يقال بائع التبغ لا يدخن، ماذا أقول لك يا صديقي تخفف من أحمالك و افتح الكتاب و لو لدقائق كل يوم حتى تصبح مدمنا -و ما أحلاه من إدمان- عند ذاك سترى العالم من منظور مختلف و

ستكتشف لذّات حِرمت منها مدة طويلة و لا تقل فات القطار، لأن القراءة ليست للدنيا فقط و لكن لها و للآخرة و القارئ سيهتدي إلى الحق ما في ذلك ريب إن لم يصب بداء الكبر و العناد و كم من كتاب أرشد و كم من كتاب أصاب قارئه بالاطمئنان، و الذين يقرأون القرآن و يقولون كتاب الله و كفى، اسألهم عن كلمة في جزء عم بل في أصغر سورة من القرآن ما معناها و ستجد ألسنتهم ستعتقل، اسألهم مثلا ما معنى الأبتر في أصغر سورة سورة الكوثر، و لا حول ولا قوة إلا بالله لن يدروا؛ لأن القرآن لا يمكن فهمه إلا بكتاب تفسير جواره، و كم من الآيات تراها غير مفهومة و غير مترابطة و عندما تقرأ أسباب النزول و كتب التفسير و علوم القرآن يبدأ المشهد في الاتضاح و تعلم أن هذا الكلام كلام الذي علمنا أن نقرأ بأول كلمة في كتابه كلمة: "إقرأ" .

***

"بئس الأمر أنت يا تعود!"

كنت قد شاهدت فيلما من زمان عن أناس يعيشون تحت الأرض و كيف أن البطل على -حسب ما أتذكر- تمكن في الأخير من الفرار من قبضة الناس الذين يحكمون هذا العالم السفلي و تنفس الصعداء عندما تنسم أول ريح من رياح العالم الجديد الفوق أرضي و كيف أنه رآه عالما أصيلا جميلا ففتح فاه مندهشا و مبهورا. الشاهد أنه عندما رأى الأرض لأول مرة كان مطرَبا مندفعا راقصا، و لكني أظنه بعد أن يقضي بضعة أيام أو شهور سيعتاد و هذه هي المشكلة : التعود.

قيل أن الفيلسوف هو الانسان المندهش باستمرار الذي لا يستطيع أن يرى الأشياء عادية و لا يستطيع أن يمر دون تفكر و تساؤل، و نِعم من يكون هكذا، أما الغالبية العظمى ترى

مئات الأشياء و لا يتحرك فيها شيء قيد أنملة {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105)} [يوسف: 105]. التعود داء عضال أصاب و يصيب و سيصيب أغلب الناس في مختلف الأجيال و القرون إلا من حلت له من الله الكرامة فأعطاه عين ناقدة و بصيرة متقدة و نفس طاهرة فاستطاع أن يجول بناظريه فيرى السماء زرقاء فيقول لم هي زرقاء؟ و يرى الأرض صلبة فيقول لم هي صلبة؟ و يرى البحر سيالا مالحا فيقول لم؟ و هكذا... و على فكرة مثل هذه الأسئلة هي التي صنعت العلوم بمختلف أشكالها و العلوم في الأخير هي نتاج عقول فضولية لا تهدأ حتى تفهم و إن فهمت طلبت فهم مسألة أخرى و هكذا إلى آخر الرمق؛ كما قال علمائنا التعلم من المحبرة الى المقبرة من المهد إلى اللحد،

هذا ما يجب أن يكون أما الكسالى فلا مكان لهم في مجتمع العلم و المعرفة إنما هم يعيشون على فتات من العلم ظنوه دسَما.
هؤلاء العلماء العباقرة لم يفعلوا شيئا سوى أنهم لم يغلقوا عقولهم و لم يلجموا فضولهم و لم يقمعوا تساؤلهم و لم يلوثوا خيالهم فنتج عن ذلك آلاف الكتب و آلاف الاختراعات فجّروا الذرة و وصلوا القمر و المريخ و مع المدد سيصلون لما لا يعلمه إلا الله... هؤلاء العلماء الذين أنتجوا لنا أعمالا خلدها التاريخ روايات و كتب مقطرة من المخيخ في أصفى سيلان و أحلى بيان.
هذا ما أريد أن أقول: التعود أصابنا فَشلّ حركتنا و أصبح كل شيء عندنا عاديا لا نعرف سوى ثلاثة أفعال: "أكل" "نام" "جامَع".

***